الجزء السابع عشر — سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

سورة الحج

الحزب ٣٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ احذروا عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الزلزلة العنيفة التي تحدث بين يدي الساعة ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ أمرٌ عظيم لا يكاد يُتصوَّر لشدته وفظاعته، فلا يبقى بيت ولا قصر إلا تحطم وتهدم ﴿تَذْهَلُ﴾ تنسى كل أم مرضعة طفلها الرضيع وتغفل عنه ﴿وَتَضَعُ﴾ تُسقط كل امرأة حامل حملها ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ يترنّحون ترنح السكران ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ وليسوا سكارى من الشراب، إنما هو الهولُ الذي يُفقد الرشد والصواب ﴿يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ يخاصم وينازع في وحدانية الله وقدرته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من غير دليل ولا برهان ﴿شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ يطيع كل عاتٍ متمرّد على الله ﴿فِى رَيْبٍ﴾ إن شككتم في قدرتنا على إحيائكم بعد الموت ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ أصلكم آدم من تراب الأرض، والتراب أبعدُ شيء عن الحياة ﴿مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾ قدر ما يمضغ، مستبينة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ غير مستبينة الخلق، ليس فيها الرأس، واليدان، والرجلان ﴿لِّتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم وعقلكم ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ يصل إلى الشيخوخة والهرم.

﴿مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ ليعود إلى ما كان عليه حال الطفولة، من ضعف القوة، وسوء الفهم، والشيخوخة، وقلّة السمع والبصر ﴿هَامِدَةً﴾ ترى الأرض ميّتةً يابسةً، لا ثمرَ فيها ولا زرع ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ إذا أنزلنا عليها المطرَ، دبّتْ فيها الحياةُ، فانتفختْ وازدادتْ، وأخرجت من كل صنف عجيب، كذلك يخرج الله الموتى من قبورهم.

الجزء الثامن عشر — سورة الحج

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ۚ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۖ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝١٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥

﴿هَامِدَةً﴾ يابسة ميتة لا نبات فيها، كالنار إذا طُفئت ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ أخرجت من كل صنف يسرُّ النفس، وهذه حجة أخرى على البعث، فكما يخرج اللّهُ النبات كذلك يحيي الموتى، ولهذا قال: ﴿يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ يحييهم بعد موتهم ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ لاوياً عنقه تكبراً وعناداً ﴿خِزْيٌ﴾ ذلٌ وهوان ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ونذيقه في الآخرة عذاب النار المحرقة ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ يعبد الله على شكٍ وقلق واضطراب في الدين، وهذا تمثيل للمذبذب في الدين، مثَّل له بمن وقف على شفا هاوية يوشك أن يهوي فيها ﴿انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ ارتدَّ فرجع إلى الكفر ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ﴾ بئس هذا الناصر ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ وبئس الصاحب المعاشر ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾ من كان يظن أن الله لن ينصر رسوله محمداً ﷺ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل إلى سقف البيت ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ثم يختنق به حتى يموت ﴿كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ هل يشتفي مما يجده في صدره من الغيظ؟ والآية تشير إلى الموتة الشنيعة (الشنق) أجارنا الله وإياكم من موتة السوء، وهذا للتهكم ممن يغتاظ من دعوة سيد المرسلين ﷺ، ويحارب دين الإسلام.

تنبيه: كثيراً ما يربط تعالى، بين إخراج النبات من الأرض الميتة، وبين إخراج الموتى من القبور، كقوله سبحانه: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ روى أحمد في المسند عن أبي رُزَيْن قال: (قلتُ: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ وما علامةُ ذلك في خلقه؟ فقال: أمَا مررتَ بوادي أهلكَ مُمْحِلاً ـ مُجْدباً ـ ثم مررتَ به يهتزُّ خضِراً؟ قلتُ: بلى، قال: فكذلكَ يُحيي الله الموتى، وذلك آيتُه في خلقه) رواه أحمد.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صدّقوا الله ورسوله وهم المسلمون ﴿هَادُوا۟﴾ اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ قوم يعبدون النجوم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أتباع المسيح ﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ عبدة النار ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ عبدة الأوثان والأصنام ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أهلُ هذه الملل، الله يقضي بينهم يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، والكفار نار الجحيم، والآية تشير إلى ضلال غير المؤمنين، فاللّهُ لا يقبل بعد ختم الرسالة ديناً سوى الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ﴿يَسْجُدُ لَهُۥ﴾ يخضع وينقاد له كلُّ من في الكون بما فيها الأجرام العظمى، وخصّ الشمس والقمر والنجوم بالذكر، لأنها قد عُبدت من دون الله ﴿خَصْمَانِ﴾ فريقان مختلفان مختصمان، فريق المؤمنين، وفريق الكافرين ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ فُصّلت لهم ملابس من نار، وشبهت النار بالثياب، لأنها محيطةٌ بهم كما تحيط الثياب بالأبدان ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ يُصبُّ على رؤوسهم الماء الحار المغلي ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ يذيب أمعاءهم ويشوي جلودهم ﴿مَّقَٰمِعُ﴾ ولهم مطارق وسياط من الحديد يضربون بها ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ عذاب جهنم.

تنبيه هام: ذكر تعالى أصحاب الأديان المختلفة، وعدّ منهم ستّ فرق (المسلمون، واليهود، والنصارى، والصابئون، والمجوس، والمشركون) خمسُ فِرَقٍ منهم (للشيطان) وواحدةٌ (للرحمن) فالمسلمون أصحابُ الدين الحقّ، والفِرقُ الباقيةُ أهلُ الضلالة، لأن بعد بعثة خاتم النبيّين، لم يعدْ يُقبلُ إلا الإسلامُ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أرشدهم إلى أفضل القول ﴿صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ديناً ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يمنعون الناس عن حج بيت الله الحرام، والآية إشارة إلى منع المؤمنين يوم الحديبية ﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ يستوي فيه المقيم بمكة، والبادي القادم من البادية ومن سائر البلاد ﴿بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ من يرد ببلد الله الحرام سوءاً ﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ نعذبه عذاباً أليماً، **قال مجاهد:** تضاعف فيه السيئات كما تضاعف فيه الحسنات ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ أرشدناه وأنهيناه إلى مكان البيت ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ﴾ نادهم ليحجوا بيت الله الحرام ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشياً على أرجلهم إن لم يجدوا مركباً ﴿ضَامِرٍ﴾ وراكبين على كل بعير هزيل، قد أنهكه بُعْدُ السفر ﴿فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يأتي إليك الحجاج من كل طريق بعيد ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ دينية ودنيوية ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ فكلوا من هذه الذبائح ﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ الذي اشتدّ بؤسه وفقره ﴿تَفَثَهُمْ﴾ يزيلوا وسخهم الذي أصابهم طيلة الإحرام ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾ طواف الإفاضة، وهذا الطوافُ ركنٌ من أركان الحج ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ الكعبة المشرّفة سُمّي البيتَ العتيقَ أي القديم، لأنه أولُ مسجدٍ بُني في الأرض ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أحكام شريعته من الحلال والحرام ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ الذبائح من (الإبل، والبقر، والغنم، والماعز) أن تأكلوها بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من المحرّمات كالميتة، والمنخنقة، والموقوذة، وما ذُبح لغير الله، وسائر المحرّمات المذكورة في سورة المائدة ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ عبادة الأوثان التي هي نجسٌ وقذر.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
(٣١) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ
(٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٧) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ اجتنبوا القذر والنجس وهو عبادة الأوثان والأصنام ﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ واجتنبوا الكذب والباطل وشهادة الزور ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مائلين عن الباطل إلى الدين الحق «الإسلام» ﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هذا تمثيل للمشرك في باطله وضلاله، مثّل له بمن هوى على الأرض من شاهق جبل مرتفع، فمزّقته الطير كلّ ممزّق، أو عصفت به الريح الشديدة فهوت به في الصحراء البعيدة المهلكة ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أعلام دينه كالبيت العتيق، والصفا، والمروة، والهدي والذبائح ﴿تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ تعظيم الشعائر من أفعال المتقين لربهم ﴿مَنسَكًا﴾ مكان عبادة وطاعة ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ المتواضعين الخاشعين لعظمة الله ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت قلوبهم، وارتعشت هيبة منه وإجلالاً ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ الإبل والبقر سميت بُدناً لضخامة أجسامها ﴿مِن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ من معالم دينه تذبحونها على اسم الله ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الأرض بعد الذبح ﴿ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ كلوا من هذه الذبائح، وأطعموا المتعفف، والمعترّ السائل الذي يطلب الطعام ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ لن يصل إلى الله شيء منها، إنما يصله تقواكم وطاعتكم لله تعالى بامتثالكم لأوامره.

تنبيه: إذا كانت الإبلُ والبقرُ، وهي حيواناتٌ مأكولةُ اللحم، تصبح معظّمة ومشرّفة من شعائر (دين الله) لأنها أُهديتْ لبيت الله الحرام، فكيف بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء، الذي فضّله الله وشرّفه على سائر الأنبياء والمرسلين، ألا يكون احترامه وإجلاله، وتعظيمُ سُنّته والتمسك بها، من أعظم شعائر الله!؟

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ أذن للمؤمنين أن يقاتلوا أعداءهم، وهذه أول آية نزلت في الجهاد، بعد أن نُهوا عنه في أكثر من سبعين آية ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ بسبب أنهم ظُلموا ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أخرجوا من أوطانهم ظلماً وعدواناً ﴿بِقَوْلِهِمْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ لم يكن لهم ذنب إلّا قولهم ربنا الله، وآمنوا بالرحمن وكفروا بالأوثان ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ لتهدّمتْ معابدُ الرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائسُ اليهود ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ عائدٌ على المساجد وخصّها بهذا الوصف تعظيماً لها وتشريفاً، لأنها أماكنُ العبادة الحقّة ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ سينصر الله من نصر دينه ورسوله ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ خصّ موسى بجملة مستقلة، لبيان أنه مع وضوح معجزاته، كذّبه المشركون فما ظنك بغيره؟ ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أمهلتهم ﴿نَكِيرِ﴾ كيف كان إنكاري عليهم؟ ألم يكن أليماً شديداً؟ ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقطت حيطانها على سقوفها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ مرفوع البنيان خالٍ من السكان، أليس في ذلك عبرة للمعتبرين!!

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ..﴾ الآية أي لولا ما شرعه الله من الجهاد، وقتال أهلِ الشرك والبغي، لاستولى أهلُ الكفر على أماكن العبادة، لجميع أهل الأديان، فهدّمت المساجدُ، والكنائسُ، وصوامعُ الرهبان، وتعرّض المؤمنون في عقائدهم ومعابدهم لأنواع الفتنة، ولذلك جاء التشريع الإلهيُّ بمجاهدة أعداء الله، لدفع شرّهم وفسادهم.

سورة الحج

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ۖ وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ۖ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يستعجلك المشركون بالعذاب سخريةً واستهزاءً ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ اليوم الإلهي، أي يوم واحد في حساب الله ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ كألف سنة مما تعدون في حساب البشر، فلو تأخر عنهم العذاب خمسين سنة، فإنه كساعةٍ واحدة عند الله ﴿وَكَأَيِّن﴾ كثير ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أمهلتها ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب بعد طول الإمهال ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ يظنون أنهم يعجزوننا ﴿تَمَنَّىٰ﴾ حدّث ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ في حديثه فيبطل الله ما يلقيه الشيطانُ، ويُحكم آياته، هذا ما رواه البخاري عن ابن عباس، والمعنى: ما أرسلنا رسولاً ولا نبياً فحدّث الناسَ بشيء فيه هداية لهم، إلّا ألقى الشيطان الوساوس والأوهام في طريق دعوته، وأما قصة الغرانيق فهذه باطلة متناً وسنداً، ولا تجوز روايتها ولا الاعتماد عليها لأنها من وضع الزنادقة ﴿فَتُخْبِتَ﴾ تخشع وتسكن له قلوبهم ﴿شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عداوة شديدة لله ولرسوله ﴿مِّرْيَةٍ﴾ في شك وريب من القرآن ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ عذاب يوم القيامة.

تنبيه: العقيمُ: المرأة التي لا تلد، ويوم القيامة سُمي عقيماً، لأنه لا يوم بعده، لأن الزمان قد مضى فلم تعد بعده أيام. **قوله تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾** قال البخاري: إذا حدّث ألقى الشيطانُ في حديثه، ويُقال: في قراءته، والمعنى الصحيح للآية: ما أرسلنا قبلك نبياً ولا رسولاً، إلّا إذا قرأ وتلا ألقى الشيطان في حديثه شبهاتٍ، فيزيل الله ويُبطل ما ألقاه الشيطانُ من الشبهات، التي علقت ببعض النفوس، ثم يُثبت الله الحقّ المبين، في نفوس المؤمنين.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ الملكُ يوم القيامة لله جلّ وعلا وحده، لا منازع له فيه ولا مدافع ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يفصل بين عباده بالعدل، فيدخل المؤمنين جنات النعيم، والكافرين عذاب الجحيم ﴿هَاجَرُوا﴾ تركوا الأوطان والديار طلباً لمرضاة الله ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ قُتلوا في الجهاد أو ماتوا على فرشهم ﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ مكاناً يحبونه وهو الجنة ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ جازى الظالم بمثل ما ظلمه ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ ثم عاوده الظالم بالمظلمة ثانية ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ لينصرنّ الله ذلك المظلوم ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يدخل الليل في النهار، يزيد في النهار وينقص من الليل، وبالعكس ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ هو الإله الحقُّ الذي يصنع الأعاجيب ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ وأن الأصنام التي يعبدها المشركون ويجعلونها آلهة ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل الذي لا بقاء له ﴿مُخْضَرَّةً﴾ زاهية ناضرة بالخضرة والمنظر البهيج بنزول المطر عليها، فكما أحياها الله بالمطر، يحيي بقدرته البشر.

تنبيه: إيلاجُ الليل في النهار، والنهار في الليل، من آياتِ الله الباهرة، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ ولو أن إنساناً وُلد في كهف مظلم، ثم خرج إلى الدنيا بعد بضع سنين، فرأى الشمس تشرق في النهار، ثم تغرب في الليل، لفزع وذُهش واضطرب، ولكنّ الناسَ ألفوا ذلك، فلم يعد يُثير فيهم الدهشة، ولو أن الشمس أشرقت من المغرب، كما سيحدث في آخر الزمان، لانقطعت أنفاسُ الناس خوفاً وفزعاً!

آية وقف الحرب ٦١

الجزء الثامن عشر — سورة الحج

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ ۚ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِى كِتَٰبٍ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يسّر لكم وسهّل جميع ما تحتاجون إليه، من طعام وشراب، وأنعام ومعادن ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى﴾ وسخّر لكم السفن العظيمة المثقلة بالأحمال والرجال، تسير فوق سطح البحر بقدرته ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ يمسكها كيلا تقع على الأرض فيهلك من فيها ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ إلا إذا شاء ذلك ﴿لَكَفُورٌ﴾ إن المشرك مبالغ في الجحود لنعم الله ﴿مَّنسَكًا﴾ شريعة خاصة ومنهاجاً هم عاملون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ فلا يجادلك أحد من المشركين في ما شرعتُ لك، فقد كانت الشرائع في كل عصر وزمان ﴿سُلْطَٰنًا﴾ يعبدون أصناماً لا تسمع ولا تنفع، مما ليس لهم به حجة ولا برهان ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ ترى في وجوه الكفار الإنكار، والعبوس، والكراهية لسماع الآيات ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يكادون يبطشون بالذين يتلون آيات الذكر الحكيم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ هل أخبركم بما هو أسوأ وأشنع من بطشكم بالمؤمنين؟ ﴿ٱلنَّارُ﴾ نار جهنم التي تنتظركم، وعدها الله للمكذبين بآياته، المستهزئين بها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ بئست جهنم المرجع الذي يرجعون إليه.

توضيح وبيان: قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ..﴾ الآية معناها: أن لكل أمة من الأمم السابقة، شريعة ومنهاج خاصّ بهم، يتعبّدون ربهم عليه، وشريعة محمد ﷺ هي (الحنيفية السمحة) شريعة إبراهيم أبي الأنبياء، وهذه الآية كقوله سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فالشرائع تختلف من أمة لأمة، ولكنّ الدين عند الله واحدٌ، هو الإسلام.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ ضرب الله لكم مثلاً لما تعبدونه من الأصنام والأوثان، فتدبروه واعقلوه ﴿تَدْعُونَ﴾ إن هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ لا تقدر على خلق ذبابة، فضلاً عن خلق إنسان ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ ولو اتحدوا وتعاونوا على ذلك ﴿يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾ وإذا أخذ الذبابُ منهم شيئاً من الأشياء ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ لا يقدرون على تخليصه منه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ ضعف العابد الذي يعبد الوثن، والمعبود الذي يعبدونه وهو الصنم!! وفيه معنى التعجب أي ما أضعف الطالبَ والمطلوب!؟ وخصّ الذباب بالذكر، لأنه أضعف حشرة وأحقرها، لا تقدر الأصنام على خلق مثله، ودفع أذيته، فكيف يجوز أن تكون الأوثان آلهة معبودين؟ ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظموا الله حقّ تعظيمه، إذ جعلوا الأصنام ـ على حقارتها ـ شركاء للقويّ العزيز ﴿يَصْطَفِى﴾ يختار رسلاً من الملائكة، ورسلاً من البشر ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ جاهدوا لإعلاء كلمة الله حقّ الجهاد ﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم من بين الأمم لنصرة دينه ﴿حَرَجٍ﴾ ضيق ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ الله ناصركم ومتولي أموركم، فثقوا به وتوكلوا عليه، فنعمَ الوليُّ ونعمَ الناصر!!

فائدة: إنما خصّ الذباب بالذكر ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ لأربعة أمور: (لمهانته، وضعفه، واستقذاره، وكثرته) فإذا كان الذباب أضعف حشرة وأحقرها، لا تستطيع الآلهة المعبودة، على خلق مثله، ودفع أذيّته، فكيف يجوز أن تكون الأوثان آلهة معبودين؟ وهذا من أقوى الحجج في ردّ الباطل، حيث ضربه تعالى مثلاً، لما يعبدونه من دون الله، بأحقر وأضعف الحشرات.